جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ / المرحلة : الثالثة

المادة : فلسفة التاريخ

عنوان المحاضرة /

التفسير الإسلامي للتاريخ

.....

أ م د : نعمه بحر فياض

العام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦

التفسير الإسلامي للتاريخ

أ – التفسير التاريخي عند العرب قبل الإسلام

أن الفكر التاريخي لدى العرب في مواطنهم الأصلي في شبه الجزيرة العربية وشمالها في العراق وجنوبي الشام يكن واضحاً حتى ظهور الدين الإسلامي، حتى أن عرب الشمال الذين ظهر الإسلام في أرضهم لم تتبلور عندهم مرحلة الوعي التاريخي المتقدم التي تستند إلى رصيد تاريخي مدون لقلة معرفتهم القراءة والكتابة، أما عرب الجنوب في اليمن فكان التأريخ عندهم مقتصر على بعض الكتابات عن أحداث تاريخية كالحروب وأسماء الملوك وبعض الأوامر الملكية كالقوانين وأمور الضرائب ، ويرجع أقدم تدوين لهم إلى القرن الأول قبل الميلاد.

ان الحميريين الجنوبيين تمكنوا من وضع تقويم لتوثيق الأحداث يبدأ بعام ٦٦٥ ق م . وهذا يشير إلى الوعي التاريخي الذي وصلوا اليه ، أما المركز الحضاري الثاني للعرب قبل الإسلام في شمال الجزيرة العربية ممثلا بمملكة المناذرة والغساسنة، فلم يكن التاريخ فيه موقع يدل على وعي واضح من المنظور الحضاري العام، ومن خلال كتابات الغساسنة التاريخية قليلة اعتمدت تقويماً يبدأ من عام ١٠٥ م التي دخلت فيها بصرى الشام تحت حكم الرومان، واقتصرت علاقة المناذرة بالتاريخ على بعض الكتب التي حفظت في الحيرة، وتضمنت نصوصا تاريخية تناولت أخباراَ عن ملوك الحيرة ومعاركهم وصلات العرب بالفرس.

كان عرب الشمال أوفر نصيباً من الوعي بالتاريخي وأكثر تصوراً لملامح منظور فكري تاريخي من عرب الشمال المضريين الذين غلب على حياتهم اليومية طابع البداوة والأمية، اذ ركزوا اهتماماتهم على ان لا تتجاوز مرحلة الروايات الشفوية المعروفة التي عرفت بتسمية أيام العرب والتي تضمنت أحداث بطولية وأدبية تحدثوا فيها عن أمجاد القبائل وغزواتها وأنسابها ووصف إلهتها .

ب- التفسير التاريخي في صدر الإسلام

كان العرب قبل الإسلام فاقدين إلى رصيد من الفكر التاريخي يستطيعون معه امتلاك رؤية فلسفية شاملة للتاريخ البشري أو حتى لتاريخي، ولم تتبلور تملك الفكرة إلا بعد ظهور الرسالة المحمدية ، واكتمال نزول شرائع الإسلام وعقائده وخروج العرب المسلمين من الجزيرة العربية للدعوة الى الدخول بالدين الإسلامي الحنيف .

كان الدين الاسلامي هو من وضع الأسس التي ارتكزت عليها عملية التفسير للتاريخ بمراحله المتعددة التي تبدأ بالتدوين التاريخي، وتمر بالوعي التاريخي وانتهت بالمساحة الفكرية القادرة على صياغة فلسفة التاريخ ، وتتضمن تلك المراحل حقبة زمنية قصيرة المدى لم تكن لا تتعدى عصر الفتوحات الإسلامية الذي أوجد البداية الفعلية لبواعث تدوين التاريخ والذي استطاعوا من خلاله تحفيز الوعي بالتاريخ واستخلاص العبر منه ووضع للعرب المسلمين قيماً ومعتقدات وأحكاماً كانت قد جعلت للفكر الإسلامي أن يكون مفسراً لمسار التاريخ مستنداً إلى الأصول التي جاء بها الإسلام.

كان تدوين سيرة الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وسلم) البوابة الاولى التي انطلقت منها الكتابات التاريخية للمؤرخين العرب المسلمين وهي مبعث إدراكهم لأهمية التاريخ وفائدته، وأن تدوين التاريخ لديهم يعد الدافع الأول هو حفظ تاريخ الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) سيرته بما يتضمنه من أفعال وأقوال والتي تشكل المصدر الثاني لتشريع الأحكام في الإسلام بعد القرآن والذي ورد في القرن الكريم بقوله تعالى ***"وما أتاكم به الرسول فخذوه وما نهاك عنه فانتهوا"*** ، وهناك كثير من الآيات القرآنية التي حثت المؤمنين الاقتداء بالرسول، مما جعل تدوين تاريخ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) على درجة عالية من الأهمية .

كان هناك دوافع أخرى دفعت العرب المسلمين على كتابة التاريخ بشتى مواضيعه والاهتمام به، وان حركة الفتوحات واستقرار معظم الفاتحين في البلاد المفتوحة وتوزيع العطاء على أساس الأنساب أو

السابقة إلى الإسلام، وتنظيم الإدارة وأنشاء الدواوين كانت كلها مستجدات رافقت ظهور الإسلام وانتشاره كانت دافعاً لتدوين مواضيع مختلفة في التاريخ تتعلق بالسياسة والحروب والفتوحات والتراجم والتنظيم الاجتماعي والأنساب وغيرها كل ذلك لتدوين الأحداث، ولم يقتصر الأمر على حفظها أو كتابتها فحسب بل توقيتها زمناً ومكاناً أيضاً لتكتسب صفه تاريخية، وذلك منذ أن اتخذ المسلمون هجرة النبي الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة المنورة تقويماً يوثقون على ضوئه تاريخهم وجعل منه بداية الأحداث في زمن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

كان دور الإسلام في بلورة الفكر التاريخي عند العرب المسلمين يمثل المبادئ التي دعا الناس إلى الاعتقاد بها، وفي مقدمتها الأيمان برسل الله وأنبيائه وخاتمهم نبينا الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء والمرسلين عند الله بعد الإيمان بالله واليوم الاخر، وذلك يعني أن تاريخ البشرية واحد ومستمر منذ خلق آدم عليه السلام إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

وجه الدين الإسلامي الحنيف دعوته الى المسلمين للأيمان برسالة السماء وأن ينظر للتاريخ العام ويستخلص من الدين الإسلامي العبر ، من قراءة وتدبر ما ورد في كتاب الله عن الأمم الماضية من اجل الوقوف على أسباب تدورها وانحطاطها واندثارها بسبب ظلمها وفسوقها وكفرها بآيات الله، والتعرف على سيرة بعض الأفراد الذين ذكروا في القرآن الكريم من اجل الاقتداء بالصالحين، وذلك من اجل دفع المؤرخين العرب المسلمين إلى الاهتمام بالمعرفة التاريخية للأنبياء والأم الماضية، وبذلك يكون الإسلام قد أرسى الأسس الأولى التي قام عليها الفكر التاريخي ذو النظرة العالمية الشاملة إلى التاريخ الذي انطلق منه التفسير الإسلامي للتاريخ .

شكل التفسير الإسلامي للتاريخ رؤية بان تاريخ البشرية تاريخ واحد متصل يبدأ بخلق الأنسان وينتهي بالحساب ويوم القيامة ويمر بمراحل أهمها تتابع الرسل والأنبياء التي كانت الرسالة الإسلامية أخرها، وهو تاريخ شامل الأمم العالم جميعاً، ولذلك بدأ المؤرخون العرب المسلمون الأوائل على كتابة التاريخ

انطلاقاً من الزمان ثم ابتداء الخلق وعدد أيامه، ثم تدوين تاريخ الرسل والأنبياء على وفق التتابع الزمني كما فعل مرخي السيرة النبوية والأمم الإسلامية وفي مقدمتهم الدينوري، واليعقوبي، والطبري، والمسعودي.

عندما خلق الله تعالى نبينا ادم (عليه السلام) قبل ذلك مهد له الأرض وسخر له كل شيء في السموات والأرض وتوفير فيها كل مسببات وديمومة العيش عليها خلال مسيرته التاريخية في الحياة الدنيا وبذلك هيئ بخلق ادم عناصر التاريخ الثلاث ***الأنسان، والمكان ، الأرض*** التي عاش عليها وترك ذريته عليها والزمان، فبدأت البشرية بآدم وذريته مسيرتها التاريخية التي رعاها الله وهيأ لها سبيلا لاستمرار ، فبعث الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ليذكروا الناس بالرسالة الواحدة ووحدانية الله عز وجل ، وكان خاتم أولئك الأنبياء والرسل نبينا الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) وما هي تملك المهمة الرسالة التي كلف الإنسان بأدائها ؟ وجوابا على ذلك

أن التفسير الإسلامي للتاريخ يستند إلى ما جاءت به رسالة الإسلام التي تشرح معنى وجود الأنسان في الأرض والمهام والأعمال التي يتوجب عليه تأديتها في الحياة الدنيا ليشكل الأيمان بمعتقدات الإسلام والالتزام بها ليشكل تصور لمسيرة البشرية وتفسيراً لتاريخ تلك المسيرة، كما يفتح التفسير في مرحمة تاليه تسبئ القراءة الواعية للحاضر.

أن الرسالة الخاتمة كانت مفصلا مهماً من مفاصل التاريخ البشري، وهي الحاوية لمسيرة المسلمين التاريخية بمراحلها المختلفة ، ويتمثل ما جاء في هذه الرسالة في : –

١– الأيمان بالله وأنبيائه ورسله وخاتمهم نبينا الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) كما جاء في كتاب القران الكريم **(قولوا أمنا بالله وما انزئ إلينا وما أنزئ إلى إبراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا تفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون).**

٢- العمل الصالح واتباع العدل والقسط وعد الإفساد في الأرض كما جاء في قوله تعالى "**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته**" .

٣- كان الهدف من خلق المخلوقات كما جاء في قوله تعالى "**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** "**وهدفه تعالى من خلق الإنسان واستخلافه في الأرض لإعمارها** " وفي موضع اخر قال تعالى **(واذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)**، والسعي لتحقيق هذين الهدفين: عبادة الله واعمار الأرض.

٤- الإيمان بالحساب يوم القيامة، الذي يمثل نهاية التاريخ ، وما يؤول إليه مصير الإنسان

مؤمناً أكاف أ كان ام كافراً كما جاء في قوله تعالى "**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتيها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم**" .

٥- الاعتبار خلال هذه المسيرة التاريخية بالأمم السابقة كما جاء بقوله تعالى "**لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب**"، وأخذ الدروس مفن المصير الذي آلت إليه كما جاء قوله تعالى "**أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم**"، **ولاسيما المكذب منها "قد خلت من قبلك سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين**".